الهجرة اللبنانية (... ق.م. ـ ١٩١٨م.)

د. داود قندولي(*)

ـ مقدمة:

عمر الهجرة اللبنانية من عمر تاريخ لبنان، إنها قصة شعب طالما شعر بالتهديد، شعب كافح وجاهد في سبيل حريته وعيشه الكريم. فاقتحم البحر وعبر اليابسة متلمساً مستقبله. وأولى مشاهد الهجرة اللبنانية تلوح أيام الفينيقيين، الذين استخدموا البحر وسيلة نقل وانتقال، فقطعوا مسافات وأنشأوا في كل بلد حطّوا فيه مدينة أو محطة أو مستوطنة، وبلغوا شمال أفريقيا، وبنوا فيها مدينة قرطاجة التي أصبحت كبرى امبراطوريات العالم القديم. واخترعوا الأبجدية، أساس لغاتنا، وحملوها الى كل العالم، وتمركزوا أيضاً في اليونان وتوسعوا في اسبانيا وانتشروا على شواطئ انكلترا، وسميت القارة الاوروبية كما هو معلوم، تيمناً بفتاة فينيقية «أوروب».

كان هدف الهجرة اللبنانية في بادئ الأمر التجارة وكسباً للرزق، وتدريجياً تحولت مع مرور العقود الى سياسيةوهجرة قسرية واغتراب طويل... فسياسياً بدأت مع هجرة أليسا مع أنصارها من مدينة صور عام ٨١٤ ق. م نتيجة الصراع على الحكم بينها وبين أخيها بغماليون، وإشتدت في العصور الوسطى، هرباً من الإضطهاد الديني في عهد الدولة المملوكية (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)، والوجهة كانت جزيرة قبرص. ولعبت الحروب دورها في موضوع الهجرة، بعدما أصبح لبنان مسرحاً لأحداث عبثية وفتن وثورات، كانت غالباً خارجية الامتداد، وما لاقاه أهل هذا البلد من ضغوطات وعذابات وواجهوا الضيق المعنوي والمادي، مما اضطرهم الى إتخاذ خيار الهجرة هرباً من واقع أليم. يبقى أنّ الهجرة الحقيقية الواسعة بدأت عملياً عام ١٨٦٠، واستمرت حتى العام ١٩١٤، حيث توقفت مع بداية الحرب العالمية الاولى،

(*) الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

وعادت ونشطت في منتصف سبعينات القرن الماضي، وتحديداً مع بداية الحرب اللبنانية ١٩٧٥، وما زالت مستمرة حتى اليوم.

هذه الهجرة التي تعرضت لها البلاد، خلال فترة مديدة من الزمن، أدت إلى فقدان كفاءات وقدرات وأدمغة، توجز مراحلها عبر التاريخ.

لقد حاولت من خلال هذا البحث أن نلقي الضوء على الهجرة اللبنانية بشكل عام الاهداف التي كمنت وراءها ومروراً بالهجرة في القرون الوسطى، التي كانت وجهتها جزيرة قبرص، وصولاً الى الهجرة الكبرى خلال عهد المتصرفية في جبل لبنان بين عامي ١٨٦٠ ـ ١٩١٨، والتي تعددت أسبابها فمنها ديني ومنها سياسي هدفها الاستقلال، ومنها كسباً للرزق بعد أن ضاقت سبل العيش.

١: أسباب الهجرة:

للحدث التاريخي جوانب متداخلة لا يمكن حصرها، بل إبرازها تبعاً لأهميتها، لذلك آثرت نقل وجهات نظر علمية، تخدم الحقيقة التاريخية، وتلمّ بموضوع أسباب هجرة اللبنانيون من جوانب مختلفة، ولهذا يقول رئيس الحكومة الأسبق تقي الدين الصلح أنّ: «سبب الهجرة الحرية أولاً، ثمّ التجارة»[١]، فمجال العيش ضيق في جبل صخري وعر المسالك، ويصبح أكثر صعوبة عندما يشتدّ ظلم الحاكم. ويعزو الياس الجميل: أسباب الهجرة الى العامل الاقتصادي بالدرجة الأولى، وقال أنّ ضيق العيش في جبل لبنان الصخري دفع أعداداً كبيرة من أبنائه للتفتيش عن مصادر الثروة والجاه في دنيا الله الواسعة، أما بالنسبة للعامل الديني فقال أنه ضعيف التأثير ويكاد يكون معدوماً[٢]. أمّا السفير الدكتور حليم ابو عز الدين، فيعزو: «أسباب الهجرة... بنزوع اللبناني الطبيعي وتوقه الدائم الى الهجرة منذ القدم، فلبنان بلد فقير، صخري التربة، صعب المسالك، قليل الإنتاج الزراعي، لذا استعاض اللبناني عن هذه المعيقات الطبيعية بالعمل في الخارج»[٣]. أمّا الدكتور عبد الله الملاح، فقد حصر الهجرة اللبنانية بـ: «اقتصادي وسياسي وطائفي واجتماعي ونفسي وعائلي»[٤].

وكتب جرجس صفا، يقول: «كانت الأرضون[٥] في جبل لبنان قاحلة وضيقة... ثلثها أراضٍ محجرة لا ينبت فيها شيء غير ما يصلح أن يكون حرجاً، وكانت الصناعة والزراعة فيه ضيقين جداً، وكان سكانه أهل نشاط وحذق بالصناعة والتجارة والعمل والعلم، وكان لا غنى لهم عن التردد الى الولايات حتى الإقامة فيها وخاصة بيروت... كما اندفعوا الى المهاجرة الى أميركا وترك أوطانهم هم وعيالهم، والى غيرها

(١) أول رحلة لرئيس الحكومة الأسبق إلى مصر كانت عام ١٩٤٣، فور إنتهاء معركة استقلال لبنان، وأسس مع إميل البستاني وخليل تقي الدين المفوضية اللبنانية في القاهرة عام ١٩٤٤، أصدر الثلاثة كتاباً مشتركاً عن الاستقلال، صادرته السلطات اللبنانية وأحرق، ولم يبق لدى الرئيس الصلح نسخة واحدة منه.

(٢) الياس ابراهيم الجميل: المسؤول المالي في السفارة اللبنانية في القاهرة، من مواليد الوجه القبلي في مصر عام ١٩٢٤.

(٣) للمزيد من المعلومات راجع: كتاب تلك الأيام، لحليم أبو عز الدين، دار الآفاق، بيروت ١٩٨٢.

(٤) عبد الله الملاح: الهجرة من متصرفية جبل لبنان (١٨٦١ ـ ١٩١٨)، طبع على عاتق المؤلف، ٢٠٠٧، ص ١٠.

(٥) جمع أرض.

من البلاد الأجنبية القاصية»[٦].

إنّ حصر ازدياد الهجرة بعامل واحد لا يمكن أن يقود الى تحليل علمي لأسباب الهجرة التي تتوسّع في ظروف الحرب والأزمات كما تتوسع في ظروف الاستقرار، لأن عامل الجذب يلعب دوراً هاماً في هذا المجال. وفي ذلك يقول المؤرخ الدكتور مسعود ضاهر: «فللهجرة نوعان متلازمان من العوامل: الداخلي الذي يشجع السكان على الهجرة أو يدفعهم قسراً إليها، والخارجي الذي يستقطبهم الى شروط عمل أفضل. أمّا بتر أحد طرفي تلك العوامل فسيكون بالضرورة تشويهاً لأسباب الهجرة لأنّ العلاقة بين الدفع والجذب جدلية ولا يمكن فصل طرفيها. ويصح القول أن هجرة القرن التاسع عشر من جبل لبنان والمناطق المجاورة ترتبط، في البداية، بالأحداث الطائفية لكنها توسعت كثيراً في المرحلة اللاحقة على تلك الصدامات»[٧]. وعن أسباب الهجرة يتابع المؤرخ مسعود ضاهر فيقول: «أما الهجرة الكبرى خلال ذلك القرن[٨] فتعود الى افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، حين فتح باب التوظيف أمام الشوام على مصراعيه وذلك لأسباب متعددة أبرزها ثقافتهم ولغاتهم المزدوجة بين العربية والأوروبية... وكان للعامل الاقتصادي دور ملحوظ في تلك المرحلة، لأن استقدام الحرير الصيني والهندي عبر قناة السويس أضعف استيراد فرنسا من حرير لبنان بسبب الفارق الكبير في الأسعار، فكسدت صناعة وتجارة الحرير في جبل لبنان ممّا دفع بقسم كبير من اللبنانيين الى الهجرة»[٩].

٢: النواة الأولى للهجرة:

أ ـ الهجرة بهدف التجارة:

يعتبر بعض المؤرخين، أنّ هجرة سكان الساحل اللبناني (الفينيقي) في غرب البحر المتوسط، الى القرن العاشر قبل الميلاد، على إعتبار أنّ هذا القرن يمثل العصر الذهبي بالنسبة للساحل الفينيقي عامة، ومدينة صور خاصة في حكم الملك حيرام بن أبي بعل (٩٨٠ ـ ٩٣٦ق. م) الذي يعد المؤسس الحقيقي لمملكة مدينة صور[١٠].

استطاع الملك حيرام بحنكته السياسية وقوة شخصيته أن يوفر الاستقرار الداخلي، ويحسّن علاقة صور الخارجية السياسية والاقتصادية مع جيرانها، كما عمل على تشجيع التجارة البحرية في كامل شواطئ البحر المتوسط. وحسّن ميناء صور، وإليه يعزو كثير من المؤرخين توطيد وتوسيع المستوطنات الفينيقية في غربي البحر المتوسط[١١]. وحتى إذا شاركت بعض المدن الفينيقية في عملية الهجرة هذه، فكانت تحت راية مدينة صور، وبأمر منها، ولعلّ من بين العوامل التي ساعدت

(٦) تقرير مرفوع من جرجس صفا الى البطريرك الماروني الياس الحويك في ١٦ كانون الأول ١٩١٢، ص ١٦ ـ ١٧.

(٧) مسعود ضاهر: الهجرة اللبنانية الى مصر «هجرة الشوام»، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٦، ص ١٦٤.

(٨) أي القرن التاسع عشر الميلادي.

(٩) مسعود ضاهر: الهجرة اللبنانية الى مصر، ص ٢٣٣.

(١٠) نجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٦، جـ ٣ ص ١١٨.

(١١) G. Conteau: La avilisation Phenicienne, Payot, Paris 1949, P 56, 57.

على الهجرة والاستيطان في غربي البحر المتوسط، حذاقة وبراعة التجار الفينيقيين في كسب ود وصداقة السكان المحليين، أضف الى ذلك تدفق التجّار المهاجرين الفينيقيين من الوطن الأم، واكتشافهم للمحيط الأطلسي الذي لم يسبقهم إليه غيرهم من الشعوب البحرية الأخرى مثل الأغريق والمصريين[١٢]. وتعد مدينة قادس على الساحل الجنوبي الشرقي لإسبانيا[١٣]، من بين أولى المدن الفينيقية الباكرة في حوض الغربي للبحر المتوسط، وقد أسسها التجار الفينيقيون لأغراض إقتصادية والحصول على خامات المعادن كالفضة والقصدير، والنحاس، واستبدالها بالمواد المصنعة التي كانوا يجلبونها من شرقي البحر المتوسط. هذه العملية التجارية جنى الفينيقيون من ورائها ثروات كبيرة... كما أنّ ممارستهم لتجارة المعادن لمدة طويلة زادتهم قدرة، وبالتالي سمحت لهم تأسيس عدد من المدن سواء في جزيرة صقلية والجزر القريبة منها أو في ليبيا وكذلك اسبانيا. وقد بنيت قادس على جزيرة محاذية للساحل، وهي في ذلك شبيهة بمدينة صور، كما انها كانت تتمتع بنظام الميناءين المعمول به لدى أهل صور[١٤].

إلى جانب مدينة قادس كانت بعض المدن الفينيقية الاخرى موزعة في جنوب أسبانيا، نذكر منها: «مالقا»، التي كانت مخصصة لتجفيف الأسماك وتمليحها، وقد قيل بأن اسمها سامي وهناك «أبديرا وسيكي». ومن المحتمل أنّ يكون التجار الفينيقيون قد نزلوا بجزر الباليار الإسبانية وكانت هجرتهم الحقيقية بجزيرة إيبيزا يعود الى حوالى سنة ٦٥٤ق. م، ومن المرجح أن الهدف من تأسيس مدينة إيبيزا في جنوب الباليار كان عسكرياً بالدرجة الأولى، وإذ أنها كانت تمثل قاعدة بحرية هامة للأسطول الفينيقي الذي كان ينطلق منها الى الشواطئ النورمندية جنوباً والإسبانية غرباً[١٥]. وقد عثر في جزيرة إيبيزا على صباغة الأرجوان التي إشتهرت به مدينة صور. وثبت من الدراسات الأثرية التي أجريت في في جزيرة ساردينيا بأنّ الفينيقيين أقاموا في الركن الجنوبي منها، وكانت أهم مدنها الفينيقية «نورا»، حيث عثر المنقبون الأثريون في هذه المدينة على بقايا أثرية من بينها نصب تذكاري وجدت عليه كتابة فينيقية ثبت بعد فك رموز كتابتها بأنها تعود الى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد[١٦].

بالإضافة الى مدينة نورا، هناك مدن فينيقية أخرى موزعة على الأطراف الجنوبية الغربية لجزيرة ساردينيا نذكر منها على سبيل المثال: سولكيس، التي تقع على طرف جزيرة سان انتيوخو، وكذلك «كارااليس»، التي عثر فيها على قبور تعود الى القرن الخامس قبل الميلاد[١٧].

تدفق التجار الفينيقيون الى صقلية في

(١٢) فيليب حتّي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، بيروت ١٩٥٨، جـ ١ ص ١٥٣.

(١٣) محمد أبو المحاسن عصفور: المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١، ص ٥٧.

(١٤) S. Gsell: Histoire Ancient de l Afrique, T 1, P 405.

(١٥) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢، ص ٨٦.

(١٦) هشام الصفدي: تاريخ الرومان، دار الفكر الحديث، لبنان ١٩٦٧، جـ ١ ص ١٥٣، هامش رقم (١).

(١٧) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي، ص ٨٧.

هجرات متتالية، واستقروا على كامل سواحلها الشرقية والغربية، وأسسوا مدينة «موتيا، وسوليس وبانورموس»، ويعتقد المؤرخون بأنّ الغرض من الهجرة الى جزيرة صقلية كان استراتيجياً أكثر منه تجارياً، ولذلك ركزوا إقامتهم في الناحية الغربية من الجزيرة التي تعزز جانب مدينتي «أوتيكا وقرطاجة» في الطرف الآخر من بلاد المغرب وإيطاليا. وقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت على موقع موتيا حديثاً بأنّ المهاجرين من الساحل اللبناني كانوا قد حلّوا بها منذ القرن الثامن قبل الميلاد.

أما بصدد جزيرة مالطة التي يحتمل أن يكون إسمها سامي بمعنى (ملط: أي هرب)، فقد وجدت فيها قبور فينيقية يحتمل أن يعود تاريخها الى القرن التاسع والثامن قبل الميلاد. كما وجدت بها مقبرة فينيقية يعود تاريخها الى القرن الخامس قبل الميلاد[١٨]. وحسب قول ديودور الصقلي، فإنّ سكان جزيرة مالطة كانوا من أصل فينيقي[١٩].

وتعتبر مدينة ليكسوس في المغرب من أبرز المدن الفينيقية القديمة، وتشير الكتابات الى أنّ تأسيسها جاء على يد بحارة الساحل اللبناني وكان الغرض الذي أسست من أجله استراتيجياً وتجارياً، حيث أنشئت المدينة على الضفة اليمنى لنهر ليكسوس[٢٠]، الذي يصب في المحيط الأطلسي مكوناً خليجاً صالحاً للملاحة.

ويذكر المؤرخ سترابون، بأنّ التجار الفينيقيين الذين إجتازوا أعمدة هرقل كانوا قد أسسوا مدناً على شواطئ البحر الخارجي (المحيط الأطلسي)، وعلى الساحل الليبي، حيث أنشئت مدينة أوتيكا التي تقع في منتصف الطريق بين صور وقادس، وقد فسّر بعض المؤرخين أنّ الهدف من تأسيس مدينة أوتيكا، الحصول على كميات القمح التي تنتجها سهول شمال تونس[٢١].

ولكي يكون بحثنا ملم لطبيعة هجرة مدن الساحل اللبناني (الفينيقي) في بلاد المغرب، وبناء المدن، لا بدّ أن نوجه عنايتنا الى محطات الاستراحة وأسواق التجارة التي كان لها دور فعّال في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية سواء بين الفينيقيين أنفسهم أو بين سكّان تلك المناطق. وقد كانت محطات الاستراحة وأسواق التجارة الفينيقية موزعة بإحكام على كامل سواحل بلاد المغرب، وتشير الكتابات التاريخية الى أنّ عدد هذه المحطات كان قد بلغ حوالى ٣٠٠ محطة تجارية.

وبالاستناد الى المؤرخ سالوست، فإنّ: «بعض الفينيقيين قد هاجروا الى الحوض الغربي للبحر المتوسط، بدافع تقليل الضغط السكاني في منطقة الساحل الفينيقي، والبعض الآخر كانت له رغبة السيطرة والتوسع، أما الفئة الثالثة فكان همها الوحيد هو الربح التجاري... ومن أجل ذلك كله أسسوا على شواطئ البحر كلا من هيبون وسوسة وليدة ومدناً أخرى، وقد نمت هذه المدن بسرعة حتى بلغت قمة الازدهار، تقدم المساعدات الرمزية للمدينة الأم[٢٢].

---

(١٨) P. Cintas: Manuel d Archea, punique, T 1, P 334.

(١٩) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي، ص ٩١.

(٢٠) يعرف نهر ليكسوس حالياً بنهر درعا في المغرب.

(٢١) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي، ص ٩٤.

(٢٢) Salluste: Jugnrthinum, xIx, 1.

ب ـ هجرة أليسا وأنصارها من مدينة صور:

تتفق المصادر التاريخية، على اعتبار سنة ٨١٤ ق. م، تاريخاً رسمياً لتأسيس مدينة قرطاجة من طرف المهاجرين من مدينة صور. وقد أشار بعض المؤرخين الى أنّ بغماليون ملك صور، حكم لمدة ٤٧ عاماً، وفي السنة السابعة من حكمه، فرّت أخته أليسا إلى تونس، حيث أسست هناك مدينة قرطاجة[٢٣]. وتذكر الأسطورة بأنه بعد وفاة الملك متان (ملك صور) بقي الحكم لابنيه أليسا وبغماليون، وكانت أليسا على غاية كبيرة من الجمال فتزوجت من عاشر باس الكاهن الأكبر لمعبد الإله ملقارت الذي كان موفور الثروة، وقد خشي عاشر باس على ثروته من اللصوص فدفنها تحت جدران المعبد، وعندما بلغ نبأ الكنز المدفون بغماليون الذي كان شغوفاً بالمال، اعتقد بأن الحيطة إنما اتخذت من أجله، فقتل زوج أخته بغية الحصول على ماله، غير أن أليسا عرفت كيف تحتال على أخيها بتظاهرها أمامه بعدم الإكتراث بالحادثة. وعندما آمنت شره، حملت الأموال وأبحرت صاحبةً مؤيديها الى قبرص حيث إنضم اليها الكاهن جونو، بعد أن ضمن لنفسه ولإسرته من بعده الإشراف الديني في المدينة الجديدة. أبحرت بعد ذلك الى بلاد المغرب (تونس حالياً)، لاقت إليسّا ترحيباً من قبل سكان المنطقة من المغاربة الذين ابتاعت منهم قطعة أرض مقدار جلد ثور، قطعته الى أشرطة صغيرة أحاطت بمساحة تكفي لبناء مدينتها الجديدة «قرطاجة»[٢٤].

هذا وقد أهّل لقرطاجة موقعها الاستراتيجي بأن تلعب دوراً هاماً في الميدانين الاقتصادي والسياسي في حوض البحر المتوسط، حيث انتهزت فرصة انحطاط المدينة الأم (صور)، خلال القرن السابع قبل الميلاد[٢٥]، وتزعّمت السيادة البحرية في غربي البحر المتوسط، وإمتدت امبراطوريتها من خليج سرت في ليبيا شرقاً، حتّى أعمدة هرقل غرباً، وضمّت إليها سواحل كل من إسبانيا وجزر الباليار وساردينيا، كذلك جنوبي غربي جزيرة صقلية[٢٦].

٣ ـ الهجرة في القرون الوسطى:

خضع لبنان بين عامي (١٢٩٥ ـ ١٥١٦م)، بمساحته الحالية، الى حكم المماليك، الذين جهدوا في تحرير مناطق الساحل الشامي الخاضعة لحكم الصليبيين، وكان من بينها مدينة بيروت، فقد سيّر السلطان الأشرف خليل (١٢٩٠ ـ ١٢٩٣م) الأمير علم الدين سنجر على رأس جيش لتحريرها، فدخل مدينة صور، بعد أن لاذ سكانها بالفرار[٢٧]، ثم دخل صيدا. وفي ٢١ تموز ١٢٩١م[٢٨]، ودخل الأمير

(٢٣) نجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٣ ص ١٢٦.
(٢٤) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي، ص ١٠٦، ١٠٧.
(٢٥) محمد كامل عياد: تاريخ اليونان، دمشق، الطبعة الاولى، ١٩٦٦، جـ ١ ص ١٢٤.
(٢٦) فيليب حتّي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ١١٥، ١١٦.
(٢٧) أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل علي بن محمود صاحب حماة (ت ١٣٣٢م): المختصر في أخبار البشر، بيروت، بدون تاريخ، عن الطبعة الحسينية، القاهرة ١٩٠٧، جـ ٤ ص ٢٥.
(٢٨) صالح بن يحيى (ت ١٤٤٦م): تاريخ بيروت، تحقيق كمال صليبي وفرنسيس اليسوعي، بيروت ١٩٦٩، ص ٢٤، ٢٥.

سنجر الى مدينة بيروت دون مقاومة، فجمع سكانها من الصليبيين والنصارى المحليين، وكان أغلبهم من الطائفة المارونية، فأرسلهم الى دمشق ومنها الى مصر. وفي مصر أطلق الأشرف خليل سراحهم وخيرهم بين العودة الى بيروت أو التوجه الى جزيرة قبرص، فتوجهوا الى قبرص[٢٩].

وفي عام ١٣٦٧م، سير السلطان المملوكي الأشرف شعبان، حملة عسكرية للإقتصاص من موارنة جبل لبنان بحجة إنحيازهم الى جانب ملك قبرص خلال هجومه على مدينة الاسكندرية عام ١٣٦٥م، فاجتاحت الحملة مقر البطريرك الماروني جبرائيل الحجولي الذي نفّذ فيه حكم الإعدام، وهرب العديد من الاساقفة الموارنة الى جزيرة قبرص[٣٠].

إكتفى المماليك بالسيطرة على المدن الساحلية دون جبل لبنان، لانشغالهم بحماية الساحل من الغزوات والاغارات التي كان يقوم بها ملك قبرص أو الأسطول الجنوي، وهذا ما يفسّر بالتالي انحسار الوجود المسيحي في المدن الساحلية بعد أن وصل الى ذروته زمن الصليبيين. وفي ذلك يقول المؤرخ الدكتور عصام شبارو: «فلاذ هؤلاء[٣١] بالمرتفعات الشمالية العالية، وفي مقدمهم الموارنة ومعهم بعض الصليبيين الذين لم تسنح لهم الظروف بالرحيل وقت الجلاء الصليبي، فاعتنقوا المارونية كما اعتنقوا من قبل بعض الأسر العربية المسيحية، فلا غرو أن نشاهد آل هاشم، الخازن، سركيس، التيان... التي تنتمي بجذورها الى القبائل العربية العريقة»[٣٢].

وعن الهجرة اللبنانيين الى قبرص يذكر المؤرخ الدكتور أحمد حطيط في كتابه سكان لبنان في زمن الحروب الصليبية: «أنّ المماليك اعتمدوا سياسة التضييق والملاحقة في بلاد الشام، ومنها المناطق اللبنانية، خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث والرابع الميلاديين، التي استهدفت المسيحيين المحليين... ، أسهمت في تشجيع دفعات جديدة من الهجرات المسيحية الى قبرص، فاستقرّ المهاجرون في القرى والدساكر وفي المدن القبرصية، وبخاصة في مدينة فماغوستا، ويشهد على ذلك ظهور الكنائس الشرقية، في أنحاء مختلفة من جزيرة قبرص... حيث انتشروا في سبعين قرية، محتفظين بتقاليدهم وعاداتهم وعلاقاتهم الأسرية، وكان من الطبيعي أن يغلب الطابع الفلاحي على الجماعات، فعملوا بالزراعة، وخاصة زراعة قصب السكر التي يعود إليهم الفضل في إدخالها الى جزيرة قبرص[٣٣].

أمّا جان ريشار، فيذكر: «أنّ مدينة فماغوستا، المركز التجاري الهام على البحر المتوسط، يوجد فيها كثافة سكانية ناطقة باللغة العربية، وكأنها مدينة شامية»[٣٤]. كما عرفت مدينة نيقوسيا

(٢٩) عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص ٢٣٦.

(٣٠) إسطفان الدويهي: تاريخ الأزمنة، تحقيق بطرس فهد، دارلحد خاطر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص ٣١٢.
يوسف داغر: بطاركة الموارنة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨، ص ٣٧، ٣٨.

(٣١) المسيحيون المحليون.

(٣٢) عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الاسلامي، ص ٢٣٩.

(٣٣) أحمد حطيط: سكان لبنان في زمن الحروب الصليبية، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ١٧١، ١٧٢.

(٣٤) Jean Richard: Le Peuplement Latin et Syrien en Chypre au XIII siècle, in "Croises, Missionaireset Voyageurs", Kyon 1980, P 8.

بأنها مقر «الريس» وكان فيها محكمة خاصة باللبنانيين أطلق عليها إسم «محكمة الريس» وهذا يؤكد بصورة حاسمة استخدام مصطلح «الريس» في قبرص، وهو مصطلح شاع استخدامه في مدن الساحل السوري في زمن حكم الصليبيين في تلك البلاد، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. والى جانب اللبنانيين الوافدين الى جزيرة قبرص، ثمّة جماعة من التركوبول، وهم مقاتلون سوريون مرتزقة، ينتمون الى فئة الفرسان، إنتقلوا الى قبرص، وانخرطوا في عداد جيشها، فاقتطعوا الأراضي مقابل تأديتهم الخدمة العسكرية[٣٥].

٤ ـ الهجرة في ظل الحكم العثماني (متصرفية جبل لبنان):

في أعقاب الاضطرابات الأهلية عام ١٨٦٠، شهد جبل لبنان تنامياً كبيراً للهجرة، باتجاه الولايات المتحدة الأميركية والبرازيل والارجنتين[٣٦]... كما بدأ أيضاً في وقت مبكّر من هذه المرحلة موجة أخرى من الهجرة، اتجهت نحو مصر، وتكونت من المثقفين اللبنانيين والسوريين، الذي عمل على استقطابهم الخديوي اسماعيل حاكم مصر، ومن بعده البريطانيون، من أجل العمل في إدارتيهما، وخصوصاً منذ عام ١٨٦٩، للعمل في قناة السويس[٣٧].

إضافة الى ذلك وصل في هذه الفترة لفيف من المهاجرين الى كل من كندا والمكسيك وأستراليا ونيوزلندا والسنغال، وتعود أسباب تنامي هذه الموجات من الهجرة، إضافة الى الأسباب السياسية والاقتصادية، موجة جفاف وانتشار الأمراض والأوبئة، كما تعود أيضاً الى تجاوب روّاد الهجرة الأوائل مع جاذبية الفرص الجديدة في الخارج وخصوصاً في الاميركيتين. وقد ساعدت أخبار نجاح بعض المهاجرين الأوائل، والتي وصلت الى جبل لبنان بتطور عملية الهجرة، وقدر عدد المهاجرين مع انتهاء هذه الفترة (المتصرفية) بحوالى ١٠٠ ألف، أي ما يقارب ربع عدد سكان الجبل[٣٨].

فمثال على ذلك، بلدة عاريا في جبل لبنان، فقد هاجر شبان من القرية الى: التشيلي، والبرازيل، والارجنتين، وكولومبيا، وفنزويلا، بالإضافة الى بعض البلدان الأفريقية، وقد بلغ عدد المهاجرين نسبة مرتفعة، بحيث كان يوازي ثلث مجمل سكان القرية، الذي كان عددهم يناهز الـ ٦٠٠ نسمة، عند وقوع الحرب العالمية الأولى[٣٩].

لم تشغل الهجرة في بداية الأمر بال المسؤولين في متصرفية جبل لبنان، حتى الروحيين منهم، ولم تقم المراجع الرسمية والدينية بإحصائها، ولم تنشئ لها دائرة خاصة بها. ولم تتوفر، بالتالي، القيود التي تظهر واقع المهاجرين حتى أواخر القرن التاسع عشر، لذا بقيت أعدادهم وأحوالهم من تاريخ الهجرة،

(٣٥) أحمد حطيط: سكان لبنان في زمن الحروب الصليبية، ص ١٧٥.
(٣٦) وزارة المغتربين في لبنان، الكتاب الأبيض، إصدار ١٩٩٤، ص ٩٩.
(٣٧) عبد الله الملاح: الهجرة من متصرفية جبل لبنان، ص ٢٣، ٢٥.
(٣٨) عبد الله الملاح: الحركة الديمغرافية في متصرفية جبل لبنان، مجلة حنون، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، العدد١٧.
(٣٩) مسعود ضاهر: بيروت وجبل لبنان، على مشارف القرن العشرين، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥، ص ٢٣٧.

عرضة للاستنساب والتقدير.

أقلقت حركة الهجرة من جبل لبنان الحكومة العثمانية في الآستانة، وجعلتها تتحرك باتجاه الفرنسيين طالبة مراراً عديدة من القنصل الفرنسي العام في بيروت اتخاذ التدابير الآيلة الى إنزال رعاياها من السفن الفرنسية الراسية في ميناء المدينة. كما أوعزت الى المسؤولين المحليين بالمسارعة الى تسيير دوريات من الشرطة على الطرقات المؤيدة الى المرافئ، وفي الموانئ نفسها، وكان هدف الدولة العثمانية في منع الهجرة، الحد من فقدان الأيدي العاملة وتدني ايرادات الدولة، مكتفين بتسهيل مهمة التجار المعروفين، وأصحاب الثروات فقط[٤٠]، فأخذت حكومة المتصرفية في الجبل بهذا المنع وعممته على جميع المراجع المعنية في المتصرفية عام ١٨٩٦[٤١].

أ ـ وسائل الهجرة:

كانت أكثرية قوافل الهجرة اللبنانية تصب في مرفأ بيروت، حيث لم يكن أمام المهاجر اللبناني في هذه المرحلة، إلّا طريق البحر سبيلاً، والسفر عبر هذا المعبر كان يتم على النحو التالي:

ـ **هجرة شرعية**: عبر مرفأي بيروت وطرابلس، ومن يحالفه الحظ ويسمح له بالسفر، وفق الشروط العثمانية، فكان ينطلق من ميناء بيروت أو طرابلس، على متن إحدى البواخر باتجاه أوروبا بشكل عام وفرنسا بشكل خاص، حيث كانت المرافئ الاوروبية نقطة تجمع للمهاجرين المتجهين الى الولايات المتحدة الاميركية، حيث كان الطلب على اليد العاملة الرخيصة المستوطنة حديثاً يعمم بواسطة مكاتب الصناعة والخطوط الحديدية، ومكتب الهجرة الحكومي[٤٢].

عموما، كانت أكثرية المهاجرين تنطلق من بيروت، فإذا حلّت المراسي نحو الساعة الواحدة ليلاً، تكون الباخرة عند إنبلاج الصباح التالي في مرفأ يافا في فلسطين.

في اليوم نفسه تغادر الباخرة هذا المرفأ قاصدة بور سعيد، في مصر، ثم تقلع في اليوم الثالث باتجاه الاسكندرية، حيث ترتاح ثلاثة أيام متتالية، وبعد ثلاثة أيام تبحر الباخرة في منتصف النهار، وتندفع باتجاه مرفأ «مرسيليا» بعد مسير مدى ستة أيام متواصلة. وهكذا تكون المسافة الزمنية بين بيروت ومرسيليا عبارة عن مسير أسبوعين تقريباً.

في ميناء مرسيليا يتحتم على المهاجرين إنتظار البواخر العاملة على خط قارة أميركا أياماً وأسابيع، لأنّ بواخر البحر المتوسط، كانت لا تصلح للإبحار في المحيطات، فيخرج المهاجرون عندها الى الجمرك، حيث يجري التدقيق في المستندات والتفتيش في الحوائج والأمتعة، فمن كانت مستنداته الثبوتية غير صالحة عاد من حيث أتى، والبقية يتدفقون بشكل عفوي وتلقائي الى الشارع متفرعين في عدة مجموعات، منها نفد مالها، أو كاد ينفد، تنتقل الى «فنادق الزريبة حتى آخر قرش» في جيوبها، أو تمسي متسكعة في شوارع المدينة، تفترش الأرض، ولا يعلم غير الله ماذا كان يحل

(٤٠) أليكسانف: المغتربون، تجربة الهجرة الباكرة الى أميركا، ترجمة فؤاد أيوب، تقديم ومراجعة محمد المحفل، دار دمشق للطباعة والنشر، ١٩٨٨- ١٩٨٩، ص ٩٣.

(٤١) عبد الله الملاح: الهجرة من متصرفية جبل لبنان، ص ٢٥.

(٤٢) أليكسانف: المغتربون، ص ١٠٦.

بها[٤٣]. ومجموعة أخرى بسطاء ينقادون وراء سماسرة، يندفع هؤلاء المساكين وراءهم ويدفعون بدل أوراق السفر الى أميركا أسعاراً مضاعفة، «بحجة قطع تلك الأوراق واصلة الى أميركا» وكانت شركات البواخر الفرنسية تتطابق مع السماسرة على قلة الدين، وتشجعهم على استغلال هؤلاء المشردين[٤٤].

ـ هجرة غير شرعية: جرت الهجرة الغير الشرعية بعيداً عن أجهزة الدولة، حين راح المغامر يتطلع الى البحر بلهفة، ويتشوّق لمعرفة بعض أسرار العالم المجهول، ظهر هذا الشكل في أشكال الهجرة عندما حظرت الدولة العثمانية، الهجرة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، محاولة الحد من تفاقمها، فشددت القيود على الطرقات المؤدية الى المرافئ، وفي المرافئ نفسها ـ كما أسلفنا ـ مما نشّط عملية تهريب المهاجرين التي كانت تتم عن طريق موظفي الدولة العثمانية[٤٥].

كان يقوم السمسار بتسليم المهاجرين الى عسكري المراقبة، فيصعد العسكري، المهاجر الى الامانة، التي هي وراء ماعونة الجمرك الى ماعونة محملة بالبضائع، ويسلمه الى القائد الباخرة الذي يدخله بصفة حمّال الى الباخرة، ويلقيه بين يدي القهوجي، الذي يعمل على إخفائه في أحد المستودعات حتى المرافئ الاوروبية، حيث يستقبله سمسار آخر ينزله «خان» الباخرة، ولا يدفعه الى باخرة أميركا الا بعد الإجهاز على الأموال القليلة التي يحملها المهاجر. وفي طريقه الى القارة الاميركية يلتقي المهاجر المسكين بأمثاله الذين قضى عليهم القدر بالاغتراب، ويعيش معهم تحت رحمة البحارة[٤٦].

أمّا طريق الهجرة الغير الشرعي الآخر فكان عن طريق مراكب شراعية كانت تقلع من أحد الشطوط البحرية على طول الساحل اللبناني، باتجاه البواخر المنتظرة في عرض البحر، لتقلهم بدورها الى قبرص أو الى مصر. ومع هذا الرواج ازدهرت الخدمات المواكبة لحركة الهجرة، إذ أصبح من الضروري تأمين النقل من القرية الى المرفأ، واستئجار خانات الاقامة، ورشوة الموظفين، ودفع بدلات الزورق والمجذفين...

لم تشكّل القيود العثمانية أي رادع حقيقي لأصحاب العزم، وبقيت عمليات التهريب التي أخذت بالاتساع التدريجي والانتشار، وبقي المعنيون بالأمر يعتمدون على ذوي الخبرة في إعداد جوازات السفر القانونية أو المزوّرة، الى القطر المصري فقط، إذ لم يكن مسموحا بالسفر الى أبعد منه[٤٧]، وكان منهم فيليب حتّي، ونجيب عبده وسواهم... الذين توجهوا نحو مصر بنية الإنتقال منها الى البلاد الأميركية[٤٨].

أمّا في مصر فكان على المهاجر اللبناني أن يتدبّر أمره ويعتمد على وسائله الخاصة لركوب

(٤٣) حسن حدة: تاريخ المغتربين العرب في العالم، دمشق ١٩٧٤، جـ ١ ص ٤٣.
(٤٤) عبد الله الملاح: الهجرة من متصرفية جبل لبنان، ص ٢٩.
(٤٥) عبد الله الملاح: المرجع نفسه، ص ٣٢.
(٤٦) حسن حدة: تاريخ المغتربين، جـ ١ ص ٤.
(٤٧) توفيق ضعون: ذكرى الهجرة، طبع في سان باولو، البرازيل، بدون تاريخ، ص ٤٦.
(٤٨) فيليب حتّي: السوريون في الولايات المتحدة، مطبعة المقتطف، مصر ١٩٢٢، ص ٣.

الباخرة المتوجهة الى مرسيليا، وذلك بعد أن يستحضر رخصة من «شيخ الشوام» في الأسكندرية[٤٩].

وعند الوصول الى مرفأ مرسيليا، كان المهاجر الغير الشرعي يتعرض الى معاملة سيئة جداً، وخصوصاً عند نزولهم من الباخرة، حيث يقادون كالأغنام لمحل وجد للسلب والنهب، ومن امتنع عن الإنقياد عولج بالضرب والتهديد، وأعيد الى بيروت على الباخرة الانكليزية «برشلين» منتفضاً لاعناً مسببي الهجرة[٥٠].

ب ـ محاولات الحد من الهجرة:

حاول مظفّر باشا (متصرف جبل لبنان ١٩٠٢ ـ ١٩٠٧)، ردع المواطن اللبناني من الهجرة، فاتخذ عدة خطوات، وكان منها: إيجاد فرص عمل جديدة، فدعا للعودة الى إنماء الصنائع والحرف وتحسينها، وتعدين المناجم وتجديد الغابات، واستخراج الموارد الدفينة من باطن الأرض، واتخاذ جميع الذرائع التي من شأنها إزدياد موارد البلاد، وضمانة رفاهية أهلها، وحث العمال اللبنانيين والصنّاع على الذهاب الى مواقع السكة الحديدية، للعمل فيها بأجور معتدلة بدل الرحيل الى أميركا. كما أصدر مظفر باشا أمراً يقضي بعدم إعطاء تسهيلات للمهاجرين الذين هم في درجة الفقر، للحؤول دون وقوعهم ضحية الاهانات والطرد من بلاد الإغتراب. وبغية تعميم هذه المعلومات والنصائح، كتب الى البطريرك الماروني الياس الحويك، والى جميع القائمقامين، يعلمهم بواقع الحال، ويطلب إليهم نشر أوامره. ونظراً لأهمية الموضوع بادر البطريرك الماروني الى تسطير إعلام خاص بالكهنة الموارنة، أوضح فيه التحذير الوارد من «دولة المشير مظفر باشا» وحضّهم على إعلانه في الكنائس[٥١].

جـ ـ محاولات تنظيم الهجرة:

أمام هذا الواقع المرير الذي يعانيه المهاجر في مرفأ بيروت، أبدى مظفر باشا رغبة في الإشراف عليه، وأعلن أنه دفعاً لما يقاسيه المهاجر من النفقات والمشقات، يجب على كل من يرغبون في الهجرة أن يحضروا الى مركز المتصرفية للحصول على تذكرة السفر، ومن بعدها يرسلون الى بيروت أو طرابلس مع ضابط يرافقهم بصورة رسمية من قبل المتصرفية ويكون الضابط المذكور مكلفاً بأن يجري كل المعاملات الضرورية للسفر والصعود الى الباخرة ويمنع عنهم كل تعدٍ، ويسهر على أحوالهم. في المقابل يدفع المهاجر رسماً يضرب على جواز السفر، ويؤدي المسافر بدل التذكرة، على أن يكون أمر السماح بالهجرة مرهوناً بحكومة المتصرفية[٥٢].

كما عيّن مظفر باشا لجنة خاصة مهمتها التصديق على كفالات مريدي الإغتراب، وأوعز الى شركات السفر بتعيين وكلاء لها في جبل لبنان لقطع أوراق السفر، وقد إشترط على هذه الشركات دفع خمسة فرنكات عن كل مهاجر لصندوق حكومة المتصرفية، وفرض عليها أيضاً عدم قبول أي مسافر لا يحمل جواز سفر «لبناني»[٥٣]. كما فرض على المهاجر أن

(٤٩) نجيب عبده: السفر المفيد في العالم الجديد، مطبعة جريدة مرآة الغرب، ١٩٠٧، ص ٦٢٢.
(٥٠) مجلة البشير تاريخ ١٩٠٢/١/١٥، نقلاً عن هيثم جمعة: الهجرة اللبنانية واقع وآفاق، ٢٠٠٤، ص ٤٦.
(٥١) عبد الله الملاح: الهجرة من متصرفية جبل لبنان، ص ٤١، ٤٣.
(٥٢) عبد الله الملاح: المرجع نفسه، ص ٤٥.
(٥٣) مجلة البشير، عدد ١٥٨٤، تاريخ ٧ آذار ١٩٠٣.

يحصل على رقيم من المتصرفية الى «قومسيون أسلكة بيروت مؤذناً بوجوب تسهيل سبيل سفرة»[٥٤].

د ـ الهجرة: احصاءات وأرقام:

إتسمت الهجرة في المرحلة التي امتدت حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ وما بعدها، بالارباك والغموض، بالارباك لأنّ السلطة منعتها وقمعتها في بادئ الأمر، وبالغموض لأنها لم تترك قيوداً ثابتة وواضحة للمهاجرين اللبنانيين. كما أنّ الأرقام المتداولة لا تعبّر تعبيراً وافياً عن تيار الهجرة، ولا تصور تصويراً حقيقياً حجم الخسارة البشرية التي أصابت لبنان، وإزاء هذا الواقع كان بحثنا عن أرقام صادرة عن مراجع لبنانية متخصصة، فكانت هذه المراجع المنطلق الأساسي، والمرتكز لدراسة الهجرة في أرقمها وأبعادها وتطورها. تبقى الإشارة الى نقص المعلومات الإحصائية الرسمية التي يمكن أن يعوّل عليها في كل بحث جاد، وعليه فإنّ جميع الأرقام الواردة هي أرقام غير رسمية وتقريبية ولقد حدد العديد من الباحثين مسار الهجرة وأعدادها[٥٥].

وبالعودة الى عهد المتصرفية، فقد أجرت حكومتها بين عامي ١٩١٣ و١٩١٤ أحصاء عام وشامل للمهاجرين، شمل ٤٥ ناحية موزعة على أقضية المتصرفية السبعة، بالإضافة الى مديرية دير القمر، وسجل وجود ٤٠٧٧٥٠ مقيماً[٥٦] و١٠٠٦٥٧ مهاجراً، وحددت نسبة المهاجرين العامة الى مجموع السكان هي ٢٤، ٦٤٪، وهكذا يكون هذا الرقم هو الرقم الرسمي الذي أفرزته عملية الإحصاء الوحيدة. وفيما يلي عرض تفصيلي لتعداد المهاجرين في نواحي المتصرفية المتخلفة موزعة على الأقضية[٥٧]:

القضاء	مجموع السكان	عدد المهاجرين	النسبة المئوية
الشوف	١٠١٩٣٨	١٦٩٦١	٪١٦,٦٣
المتن	٨٩٦٧٦	١٩٨٥٣	٪٢٢,١٣
كسروان	٦٣١٤٧	١٤٨٩٥	٪٢٣,٥٨
دير القمر	٨٤٥٥	٢٣٣٢	٪٢٧,٥٨
الكورة	٢٤٠٦٣	٧٠٢٤	٪٢٩,٩٣
البترون	٨٣٢٢٠	٢٦٠٢٤	٪٣١,٢٧
جزين	٢٤٥٩٣	٨٠٦١	٪٣٢,٧٧
زحلة	١٢٦٥٨	٥٣٢٧	٪٤٢,٠٨
المجموع	٤٠٧٧٥٠	١٠٠٦٥٧	٪٢٤,٦٨

(٥٤) أبراهيم الأسود: دليل لبنان لعام ١٩٠٦، المطبعة العثمانية في بعبدا، ص ٩١.

(٥٥) جهاد عقل: الهجرة الحديثة من لبنان وتعاطي المؤسسات الرسمية والاهلية معها (١٨٦٠ ـ ٢٠٠٠)، دار ومكتبة التراث الأدبي، بيروت ٢٠٠٢، ص ٤٩.

(٥٦) الجريدة الرسمية: عدد ٧٥٣، تاريخ ٢٤ تشرين الأول ١٩١٤.

(٥٧) جهاد عقل: الهجرة الحديثة من لبنان، ص ٤٩.

(٥٨) جورج طعمة: المغتربون في أميركا الشمالية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق ١٩٦٥، ص ٣٦.

ـ النسبة المئوية للمهاجرين اللبنانيين زمن المتصرفية (حسب الطوائف):[٥٨]

النسبة	هذه النسبة حددت بحسب عدد السكان			
١٠٠				
٩٠				
٨٠				
٧٠				٦٩٪
٦٠				
٥٠				
٤٠				
٣٠				
٢٠				
			١٥٪	
١٠		١١٪		
	٥٪			
الطوائف	دروز + شيعة	كاثوليك	ارثوذكس	موارنة

أمّا القنصل البريطاني في بيروت، فقد قدّر عدد المهاجرين من متصرفية جبل لبنان بثمانين ألفاً خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٨٦٢ ـ ١٩٠٠، ستّون ألفاً توجهوا نحو بلدان الاغتراب وعشرون ألفاً قصدوا مناطق ضمن ولايات الدولة العثمانية، بخاصة نحو أقضية بعلبك، صور، طرابلس ومدينة بيروت الى جانب مصر وقبرص[٥٩].

كما جاء في تقريره عام ١٩٠٢، أنّ الهجرة في زيادة دائمة وإنها إمتدت من لبنان الى سائر أنحاء سوريا... وإنّ السماسرة يستغلون تلك الأوضاع[٦٠].

وهكذا نميل للتأكيد بأنّ الارقام المتداولة والمنشورة في مختلف الكتابات اللبنانية وبخاصة عند إيلي صفا[٦١]، الذي اعتمدت أرقامه بعثة إرفد عام ١٩٦١، عن المهاجرين من متصرفية جبل لبنان الى بلدان الاغتراب منذ عام ١٨٦٠ حتى عام ١٩١٤، والمقدرة بحوالي ٣٣٠ ألف نسمة، ما هو سوى تقدير لعدد المهاجرين من كافة المناطق الجغرافية التي كانت تشكل سوريا الكبرى، وهي الآن سوريا، لبنان، فلسطين والأردن. أما الارقام المتداولة عن المهاجرين اللبنانيين لغاية عام ١٩١٤، فقد بلغ ٤٦٩ ألف نسمة[٦٢]. وهكذا، فإنّ الفارق بين الرقمين السابقين البالغ ٢١٧ ألف نسمة،

(٥٩) شارل عيساوي: التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠ ـ ١٩١٤، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠، ص ١٤٠.

(٦٠) شارل عيساوي: التاريخ الاقتصادي، ص ٦٠.

(٦١) Elie Safa: L emigration Libanaise, Universite. St. Joseph, Beyrouth 1960, P 49.

(٦٢) Liban, Projet Presente par le General de Beaufot, Commandant du chef du corps Gouvernement =

يمثل تقديرنا من جبل لبنان حتى عشية إندلاع الحرب العالمية الأولى وليس ٣٣٠ ألفاً، كما هو شائع التداول في الكتابات الجغرافية والديموغرافية.

خاتمة

لقد كان الاغتراب اللبناني إغتراباً عالمياً بناءً، صهر اللبنانيون في المجتمعات الغربية أفضل إنصهار، وأفرز نتائج إجتماعية وإقتصادية وسياسية مهمة على مستوى الوطن الأم، وفي ديار الاغتراب نفسها.

فعلى مستوى الوطن، أحدثت الهجرة تناقصاً سكانياً حاداً، ما أدى الى تراجع اليد العاملة، وإفراغ بعض القرى من شبابها الطموح، وتهديم أسس إقتصادها(٦٣).

لقد خلّف غياب الشبان ذيولاً إجتماعية سلبية أثرت على العائلة، وعلى المجتمع اللبناني، وأساءت بالتالي الى الوطن، وتسببت باختلال التركيبة السكانية، وتناقص النسل، وفقدانها التدريجي للأيدي العاملة ـ وخاصةً أنّ معظم المهاجرين كانوا من الذكور ـ والعمل على تفتيت الملكيات الكبيرة وإرتفاع أسعار الأراضي بعد إقدام المغتربين على تحويل أموالهم وشراء العقارات وتملك الأراضي، وبناء البيوت الفاخرة المجهزة بمقومات الراحة العصرية، ممّا رفع قيمة الأراضي في لبنان وجعلها تساوي مرتين أو ثلاث مرات قيمة الأراضي في البلدان المجاورة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ نجاح العديد من المهاجرين وانطلاقهم المادي والمعنوي قد ساعدا في استنهاض الهمم وتعمير لبنان واستمراره من الناحيتين القومية والاقتصادية، حتى أنّ نصف الأمة المقيم أصبح مديناً للنصف الغائب بنهضته ومناعته على مقالبة الازمات(٦٤).

وأكّد المطران بولس عواد هذا المنحى، بقوله: «لولا المهاجرة التي أمدت (لبنان) بقليل من المال، وخففت مصاريف أهله عنه لغدا من شدة الفقر والفاقة في حالة يترتب عليها غوائل كثيرة»(٦٥). أمّا أوغست أديب، فقال: «فائدة كبرى بالأموال الجسيمة التي كان يرسلها المهاجرون الى أهلهم، الذين عوّلوا على هذه المساعدات في سد عجز ايراداتهم»(٦٦).

أحبّ المهاجرون بلاد الإغتراب، وانخرطوا في الحياة الغربية على جميع المستويات حتى السياسية منها، وحظي العديد منهم بثقة المجتمع الغربي، الذي رفع البعض منهم الى مناصب سياسية وعسكرية وإدارية عالية في الهيئة الإجتماعية(٦٧).

وبشكل عام لم تخل المهاجرة من نفع

= du Comminaute dans la 1ere moitie du expeditionnaire de Syrie en 1860- 1861. In Troubles agraires et cemflis entre d Etat, Soutenue par Amine Jrade a Grenoble 2, France, 1991, x1xos, au mont- Liban, thesse du doctorat.

(٦٣) محمد عطا الله: الهجرة مسألة لبنانية؟ الكسليك ١٩٧٣، ص ٥٤.

(٦٤) أسعد عقل: الهجرة اللبنانية في مئة عام، جريدة الشراع ١٩٥٤، ص ١٣٥.

(٦٥) ملاحظات بخط المطران بولس عواد، بكركي، بدون تاريخ.

(٦٦) أوغست أديب: لبنان بعد الحرب، عرّبه الشيخ فريد حبيش، مطبعة المعارف بمصر ١٩١٩، ص ١٠٦.

(٦٧) عبد الله الملاح: أضواء على المرسل الصادرة في الارجنتين ١٩١٣- ١٩١٧، مجلة اعلام وتوثيق، السنة السابعة ١٩٩٢، ص ٦٣.

للمهاجرين، إذ كسب بعضهم الجاه والمال، وترقّى مع ترقّي الأمم التي خالطها، ووقف على أسرار حضارتها، وإرتقى في وسطها سياسياً وإجتماعياً، متمتعاً بالحقوق الأدبية والمدنية والمعنوية، وعاش بظل الاستقلال والديموقراطية.

في النهاية إنّ المغترب متعلق دائماً وأبداً بوطنه الأم، وحنينه إليه حنين الطفل الى أمّه، وعلى الرغم من رغبته الحارة في العودة متى اجتمع لديه شيء من الوفر المادي، فإنه أخذ يميل الى الانخراط في سلك الأمم والتجنس بالجنسية الأجنبية، عندما رأى أنّ مصير لبنان يسير من سيئ الى أسوأ.

ـ المصادر والمراجع:

١ ـ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل علي بن محمود، صاحب حماه (ت ١٣٣٢م): **المختصر في أخبار البشر**، بيروت، بدون تاريخ، عن الطبعة الحسينية، القاهرة ١٩٠٧.

٢ ـ ابراهيم أسود: **دليل لبنان لعام ١٩٠٦**، المطبعة العثمانية في بعبدا، بدون تاريخ.

٣ ـ أحمد حطيط: **سكان لبنان في زمن الحروب الصليبية**، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

٤ ـ اسطفان الدويهي: **تاريخ الأزمنة**، تحقيق بطرس فهد، دار لحد خاطر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣.

٥ ـ أسعد عقل: **الهجرة اللبنانية في مئة عام**، جريدة الشراع ١٩٥٤.

٦ ـ أليكسا نف: **المغتربون، تجربة الهجرة الباكرة الى أميركا**، ترجمة فؤاد أيوب، تقديم ومراجعة محمد المحفل، دار دمشق للطباعة والنشر ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩.

٧ ـ أوغست أديب: **لبنان بعد الحرب**، عرّبه الشيخ فريد حبيش، مطبعة المعارف بمصر ١٩١٩.

٨ ـ توفيق ضعون: **ذكرى الهجرة**، طبع في سان باولو، البرازيل، بدون تاريخ.

٩ ـ جرجس صفا: **تقرير مرفوع الى البطريرك الماروني الياس الحويك**، ١٩١٢.

١٠ ـ جهاد عقل: **الهجرة الحديثة من لبنان وتعاطي المؤسسات الرسمية والأهلية معها (١٨٦٠ ـ ٢٠٠٠)**، دار ومكتبة التراث الأدبي، بيروت ٢٠٠٢.

١١ ـ الجريدة الرسمية: **عدد ٧٥٣**، تاريخ ٢٤ تشرين الأول ١٩١٤.

١٢ ـ جورج طعمة: **المغتربون في أميركا الشمالية**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٥.

١٣ ـ حسن حدّة: **تاريخ المغتربين العرب في العالم**، دمشق ١٩٧٤.

١٤ ـ حليم أبو عز الدين: **تلك الأيام**، دار الآفاق، بيروت ١٩٨٢.

١٥ ـ شارل عيساوي: **التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠ ـ ١٩١٤**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠.

١٦ ـ صالح بن يحيى (ت ١٤٤٦م): **تاريخ بيروت**، تحقيق كمال صليبي وفرنسيس اليسوعي، بيروت ١٩٦٩.

١٧ ـ عبد الله الملاح: **أضواء على المرسل الصادرة في الأرجنتين ١٩١٣ ـ ١٩١٧**، مجلة إعلام وثوثيق، السنة السابعة ١٩٩٢.

١٨ ـ **الحركة الديموغرافية في متصرفية جبل لبنان**، مجلّة حنون، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، العدد ١٧.

١٩ ـ: **الهجرة من متصرفية جبل لبنان (١٨٦١ ـ ١٩١٨)**، طبع على عاتق المؤلف، ٢٠٠٧.

٢٠ ـ عصام شبارو: **تاريخ المشرق العربي الاسلامي**، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩.

٢١ ـ مجلة البشير تاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٠٢، نقلاً عن هيثم جمعة: **الهجرة اللبنانيةواقع وآفاق**، ٢٠٠٤.

٢٢ ـ محمد أبو المحاسن عصفور:**المدن الفينيقية**، دار النهضة العربية، بيروت١٩٨١.

٢٣ ـ محمد الصغير غانم: **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢.
٢٤ ـ محمد عطا الله: **الهجرة مسألة لبنانية؟** الكسليك ١٩٧٣.
٢٥ ـ محمد كامل عياد: **تاريخ اليونان**، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٦٦.
٢٦ ـ مسعود ضاهر: **بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين**، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
٢٧ ـ: **الهجرة اللبنانية الى مصر (هجرة الشوام)**، منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٨٦.
٢٨ ـ فيليب حتّي: **السوريون في الولايات المتحدة**، مطبعة المقتطف، مصر ١٩٢٢.
٢٩ ـ : **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، بيروت ١٩٥٨.
٣٠ ـ نجيب عبده: **السفر المفيد في العالم الجديد**، مطبعة جريدة مرآة الغرب، ١٩٠٧.
٣١ ـ نجيب ميخائيل ابراهيم: **مصر والشرق الأدنى القديم**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦١.
٣٢ ـ هشام الصفدي: **تاريخ الرومان**، دار الفكر الحديث، لبنان ١٩٦٧.
٣٣ ـ وزارة المغتربين في لبنان، **الكتاب الأبيض**، إصدار ١٩٩٤.
٣٤ ـ يوسف داغر: **بطاركة الموارنة**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨.

35- Elie Safa: L emigration Libanaise, Universite. St. Joseph, Beyrouth 1960.

36- G. Conteau: La avilisation Phenicienne, Payot, Paris 1949.

37- Jean Richard: Le Peuplement Latin et Syrien en Chypre au XIII siècle, in "Croises, Missionaireset Voyageurs", Kyon 1980.

38- Liban, Projet Presente par le General de Beaufot, Commandant du chef du corps Gouvernement du Comminaute dans la 1ere moitie du expeditionnaire de Syrie en 1860 -1861. In Troubles agraires et cemflis entre d Etat, Soutenue par Amine Jrade a Grenoble 2, France, 1991, x1xos, au Mont - Liban, thesse du doctorat.

39- P. Cintas: Manuel d Archea, punique..

40- S. Gsell: Histoire Ancient de l Afrique.

41- Salluste¤ Jugnrthinum, xIx, 1.